قيم الإدخار وآعرافه

الإدخار قيمة إجتماعية سامية ، كما أنه قيمة دينية ، وقيمة إقتصادية رفيعة المستوي .. ونحن أمة وسط . والوسطية من أسمي غيات المجتمع الإسلامي عامة والشرقي خاصة .. ومعتقداتنا الدينية تحض علي الإدخار حيث يذكر في القرآن الكريم ﴿ .. **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** .. ﴾ كما قال سبحانه وتعالي ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾ والآحاديث النبوية تدعونا إلي الإدخار حيث يقول المصطفي ﷺ «**من فقه الرجل القصد في معيشته ..**» كما قال ﷺ «**ما عال من اقتصد ..**» .

والإدخار بمعناه الواسع ، هو الحد من الإسراف ، والصرف الغير مبرر في كل شيء .. الإدخار النقدي ، حسن إستخدام العنصر الزمني ، إستخدام الوسائل والآلات والإمكانات المتاحة في الوقت المحدد ، وبالدقة اللازمة في الوقت المناسب ، وبالقدر المعقول .

فالإدخار هو القوة الدافعة للإقتصاد .. والمدخرات سمة من سمات المجتمعات المتحضرة .. إن قيمة الأشياء المدخرة سواء أكانت منقولة ، أو ثابتة تكتسب قيمة وقيماً جديدة بإدخارها ، أو الإقتصاد في إستخدامها ، وإستعمالها . وهكذا ، فإن الإدخار ، والمدخرات تُؤمن رفاهية المدخر ، والمجتمع في نفس الوقت .. والمدَّخر إذا ما وصل إلي الرفاهية المنشودة ، فمعني ذلك أنه وصل إلي الثراء ، والغني المادي الذي ينشده .. وبالتالي فقد وصل إلي الهدوء ، والطمانينة الروحية ، والنفسية التي تُكمل الرفاهية المادية ..

إن الدول المتقدمة ، قد تقدمت بالمدخرات التي أُحسنت إستخدامها ، وتوجيهها إلي التصرف الأمثل، الإستخدام الأمثل للمتاح من الإمكانات.. أما الدول النامية ، أو لنقل الآخذة في التطور ، فإن منابع ثروتها محدودة .. ولذلك فهي تعتمد في الكثير من متطلباتها علي تلك التي تُقدمت ، بحسن إستخدام مدخراتها .. بمعني أن الدول النامية تستدين من الدول المتقدمة ، وعلي الدول الآخذة في النمو ، أن تهتم بالإدخار، بل هي مضطرة لزيادة الإهتمام بالإدخار لتقلل من الإستدانة بقدر الإمكان.

الدين الإسلامي ، كما أنه ينفر من البخل ، والبخلاء فهو كذلك ضد السفه ، والسفهاء .. وأعتبر البزخ محرماً .. وعلي الأسرة أن تسعي إلي تعليم أطفالها قيمة الإدخار ، وسلوكياته منذ نعومة أظفارهم ، فمن شب علي شيء شاب عليه .. وتُراثنا المكتوب ، والمسموع ثري بالآمثال والاقوال التي تحض علي الإدخار ، وتدعو إليه .. والمجتمعات الزراعية تعلو فيها قيم الإدخار ، علي عكس المجتمعات الصناعية .. فهي تدعو إلي الصرف ، وتعلن عن منتجاتها بشكل يدعو إلي الإستهلاك .. وتفننت في وسائل الدعاية ، والإغراء بسرعة الإستهلاك ..

ولما كان الإدخار وثيق الصلة ، وواجب الرعاية في كل مراحل حياتنا .. رأينا من المناسب أن نبسط القول بعض الشيء عن وسائل الإدخار ، وطرقه :

الإدخار النقدي

- القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ..

- القرش يكسب قرش ..

فحتي التراث الشعبي ؛ يحض الأسرةعلي أن تدخر بعضاً من دخلها لكي تواجه به الأيام السيئة .. أو لكي تشتري به مالاً جديداً .. أو لكي يوفر تامين وسائل جديدة لمكسب جديد وإلي زمن قريب كانت النقود تُحوَّل إلي الذهب ، ويتم كنز الذهب أو إدخاره .. ولكن النظام البنكي ، والمصرفي ، والبورصات ، والسندات جعلت إدخار النقود ذاتها أمراً مستحباً ، وممكناً ، بل وأكثر تداولاً .. ولقد إنعكس ذلك علي حركة تطور المجتمع أكثر من حفظ الذهب ، وكنزه أو إدخاره ..

وكانت الأسر المصرية تدخر من منتجات المواسم الزراعية حتي إذا ما حلَّ الموسم الجديد تجد بذورها جاهزه ، ولا تحتاج إلي الشراء ، أو الإنتظار حتي يتم تامين البذور.. كما كانت وما زالت الأسر العريقة ، والكبيرة تدخر لإستخدامها السنوي من الحبوب ، والسمن البلدي ، ما يكفيها حتي ظهور الموسم الجديد ..

وإلي عهد قريب كانت هناك في كل البيوت قاعة الكرار ، وهي قاعة مخصصة لتخزين إحتياجات الأسرة في مواسم كثرتها إلي مواسم ندرتها ... وفي هذا ترشيد

في النفقات ، ويمكن إعتباره نوعاً من الإدخار .. حيث ينعكس علي ميزانية الأسرة ، وبالتالي علي ميزانية الوطن ككل .. ولو تتبعنا الآيات ، والآحاديث ، والأمثال ، والأقوال التراثية التالية لإتضحت لنا قيم الإدخار وآعرافه :

﴿ وعلي اللّه فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) ﴿ وعلي الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (٢) وقول الرسول ﷺ « .. ولو أنكم تتوكلون علي الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً »

الإيثار وحب الغير :

﴿ ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾(٣) ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند اللّه ، وهو خيراً وأعظم آجراً ﴾ ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ .

(اليد العليا خير من اليد السفلي)

(يد الله مع الجماعة ..)

(سيد القوم خادمهم)

ومن أمثال العرب :

- أجع كلبك يتبعك ....
- زوج من عود خير من قعود ...
- شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه ...
- قلل طعامك يحمد منامك ...
- كما تزرع تحصد ...

---

(١) سورة المائدة .

(٢) سورة التغابن .

(٣) سورة الحشر .

- كلب جوال خير من أسد رابض ....

- لكل غد طعام ...

- شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه ...

أمثال مشتركة :

- القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود = آق آقجه قرا كَون ايچيندر ..

- القرش يكسب قرش = آقجه آقجه يي قازانير ..

- ليس ادخار الذهب ، بل إدخار القرش فضيلة = آلتيني صاقلامق دكل ، قروشي صاقلامق هونردر ..

علي قد لحافك مد رجليك .. = آياغينى يورغانكه كوره اوزات ...

- أول الغيث قطره .. = داملايه داملايه كول اولور ..

* * *

الترشيد في المأكل والمشرب
وعدم الإسراف فيهما

قال سبحانه وتعالي ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ وقال المصطفي ﷺ « **كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ، ولا سرف ، فإن الله يحب أن يري نعمته علي عبده** » ويحدد الرسول ﷺ الإسراف في الطعام بانه أكل ما فوق ثلث حجم بطنه . .

كما قال رسول الله ﷺ « **ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . . حسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه ، فإن كان فاعلاً لا محالة . . فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** » فجعل ﷺ ، ما زاد عن ثلث البطن من الإسراف في الطعام ، كما جعل من الإسراف أن يأكل الإنسان كل ما يشتهي . . حيث قال ﷺ « **إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت** » . . ويحث علي الإقتصاد في الغني ، وفي الفقر ، بل وفي العبادة أيضاً ، أي التوسط حيث قال ﷺ « **ما أحسن القصد في الغني ، وما أحسن القصد في الفقر ، وما أحسن القصد في العبادة . .** » فالحرص علي الإقتصاد في المأكل والمشرب ، بل في الأمور كلها ، والبعد عن الإسراف من الأمور التي تحض عليها الحضارة الإسلامية ، وبقدر البعد عن الإسراف ، والتبذير ، يكون البعد عن البخل والتقتير . . ففي كليهما مفسدة للنفس ، والمال ، والمجتمع .

ولما كانت كل المواد الغذائية تتطلب جهداً كبيراً لتامينها من الطبيعة ، فإن إلقاء أي فائض ، أو زائد منها في صفائح الزبالة أمر مستهجن من قبل حضارتنا الغراء . . فكما أن ذلك يفتح الطريق أمام خسائر فادحة ، فإنه يزيد عدد الذين يبحثون عن هذه الأطعمة فلا يجدونها . . وما نطالعه من أرقام علي صفحات الجرائد لإستهلاكنا من الخبز ، والحبوب أمر مؤسف . ووصلت إلي أرقام مخيفة في كل العالم الإسلامي . . ولقد كان من العادات ، والأعراف الجميلة التي تربينا عليها في الماضي القريب أنه لا تلقي كسرة خبز واحدة في القمامة ، وإذا ما صادف أحدنا كسرة خبز صغيرة علي الأرض وهو يسير ، كان يُقبلها بشفتيه ، ثم يضعها علي رأسه ، وبعد

ذلك يضعها في مكان لا تصل إليه قدم إنسان أو حيوان ، بل في مكان يمكن للطير أن يراها فيأكلها . .

لم تكن الاسر تُلقى بالخبز البائت جانباً ، بل كانت تتفنن في طرق جديدة لإستخدامه . . كان تأكله في الشوربة ، أو الحساء أو فى اللبن .أو تطريه علي البخار وتأكله . . أو يضاف إلي الكفته . . . أو يجفف ويدق . . أو يضاف إلي بعض الحلويات . . أو يُخمر وتُصنع منه الجعة والبوظة . .

كما كانت الأسر تقوم في مواسم كثرة الخضار بتجفيفه وحفظه ، وعمل الصلصات ، أو المربات منه . . بل حتي في الإستخدام اليومي ؛ لم تكن تلقي بالقشر جانباً ، بل تحفظه حتي تُطعم به الطيور ، أو بعض الحيوانات ، وفى القري كانت تدفن هذه البقايا حتي تتحول إلي سماد . . فما أحوجنا إلي العودة إلي هذه القيم النبيلة ، وتأصيلها في نفوس الأطفال الصغار ، وتعويدهم علي الإدخار النقدي ، بعودة نشر الحصَّالات الصغيرة ، وعدم الإسراف في الطعام ، وإحترام لقمة الخبز ، ومعرفة القيمة النقدية ، والجهد الذي يبذل للوصول إليها ، والأمثلة الشعبية . . والأقوال المأثورة التي تحض علي ذلك كثيرة ، ومتنوعة .

* * *

ترشيد استهلاك المياه ، والكهرباء
والطاقة عامة

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ... ﴾

فالماء نعمة أنعم الله بها علي كل مخلوقاته .. وإذا كان الإسلام . كما سبقت الإشارة – قد حارب الإسراف بكل أشكاله ، وأنواعه ، ودعي إلي الوسطية حتي في العبادة .. ولذلك أوصي الإسلام بعدم الإسراف في إستخدام الماء حتي في الوضوء وغسل جسد المتوفي ..

ولما كان الماء يتم جلبه من مسافات بعيدة ، وبواسطه طاقة ، فإن الإسراف في إستخدامه يعني الإسراف في إستخدام الطاقة أيضاً ..

ويمكن الحد من الإسراف في استخدام المياه باشكال شتي ؛ في الوضوء ، وفي الإستحمام ، وعند حلاقة الذقن ، واستخدام فرشة الأسنان .. وفى كل الإستخدامات المنزلية ، وغسل السيارات ، وسلالم العمارات .. وري الحدائق ، ورش الشوارع .. فكل متر من المياة يتكلف الكثير حتي يتم تنقيته .. وإذا ما تم الترشيد فإن ذلك يعني الترشيد في نفقات الدولة ..

أما في الزراعات المختلفة فلابد من تغيير نمط الري في الآراضي الزراعية .. لابد من إستخدام الأساليب الحديثة كالرش ، أو التنقيط ، أو الترشيح بدلاً من الري بالغمر المعتداد عليه في معظم البلدان العربية ، والإسلامية ..

نفس المنطق يمكن قوله عند إستخدام الطاقة الكهربائية ... صحيح الطاقة الكهربائية اصبحت حق من حقوق المواطن ... وعلي الدولة أن تبذل قصاري جهدها في توفير الماء الصالح ، والطاقة اللازمة ... ولكن علي المواطنين أن يرشدوا إستخدامهم للماء ، والكهرباء .. فلا يتركوا لمبات مضاءة في النهار .. ولا يسرفوا في إستخدام المكيفات ، والمعدات التي تُدار بالطاقة الكهربائية ..

* * *

ترشيد أستخدام الوقت ، وإحترام عنصر الزمن

- الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . .
- لا تترك عمل اليوم إلى الغد . .
-الوقت . . نقد . .
-الثعلب الجوّال خير من الأسد الرابض . .

من هذا يتضح أن الزمن ، أو الوقت هو قيمة غالية الثمن . . فالوقت الذي نُضيِّعه لا يمكن تحت اي ظروف إسترجاعه . . ومن هنا لابد ان نُحسن إستخدام كل لحظة من لحظات حياتنا . .

فما أطال النوم عمراً و لا قصَّر في الآعمار طول السهر

على حد قول الشاعر العربي . .

وللحد من الإسراف ، و ضياع الوقت فلابد من التوائم مع قواعد المحادثة . . و أن يكون لكل مقام مقال ، وأن نحترم المواعيد في العمل اليومي سواء في البداية ، والإنصراف . . وألا نسرف في إستخدام الهاتف خاصة في المصالح الحكومية . . وأن نغرس في أطفالنا إحترام عنصر الوقت وتقديسه وأن يلتزموا بالمواعيد المحددة لبداية الأنشطة ، وعند إنتهاء العمل في هذه الأنشطة المشتركة . . وأن نعوِّدهم علي القراءة المنظمة ، والمنتظمة ، والسريعة في نفس الوقت حفاظاً علي الوقت . .

حماية المال العام ، وترشيد استخدامه

المال العام ، ملك مشترك لكل المواطنين ، تم شراءه من أموال الضرائب التي يدفعها المواطنون جميعاً . . وما لم نُحسن إستخدام هذا المال العام ، ومالم نرشد استخدام هذا المال العام ، ، فإن تعويضه يُصبح أمراً صعباً ، أو يترتب علي إستعواضه جمع ضرائب جديدة . . أو صرف ميزانيات إضافية . وكلها أمور تنعكس علي المواطن بشكل سيء

ويمكن تعداد أشكال سوء إستخدام المال العام في مدارسنا ، ومعاهدنا ، وجامعاتنا . . ووسائل المواصلات العامة . ونظرة واحدة علي المباني العامة تكفي لبيان ما نود أن نقوله . .

لابد أن ننمي في أطفالنا إحترام المال العام ، أو المشترك في مدارسهم .. وفي الحدائق ، والمتنزهات ، والسينما ، والملاهي العامة . لابد من أن نُعَمقّ في وجدانهم الحفاظ علي الزهور ، والورود ، والأشجار في الحدائق ، والطرق ، والشوارع .. بل نغرس في نفوسهم تربية الزهور في منازلهم .. وسوف نتناول ذلك عند الحديث عن حماية البيئة ..

محاربة الإسراف في استخدام الورق

إن المادة الخام الأساسية في صناعة الورق هي مادة السليلوز ، وهي تُستخرج من الأشجار ، ومعني الإسراف في إستخدام الورق ، هو حكم بالإعدام علي نوع من أنواع الشجر .. وكل حكم بالإعدام علي شجرة ، معني ذلك حكم علينا بالحرمان من إستنشاق هواء نقي في بقعة ما من بقاع قريتنا التي نعيش علي ربواتها .. ومن المؤسف له اننا نشاهد إسرافاً ملحوظاً في الورق بشتي أنواعه .. وأن المؤسسات العامة تبالغ في استخدام الأنواع الممتازة حتي عند القيام بعمل مِسودات للأعمال الكتابية اليومية .. وأن بعض الموظفين يجففون آياديهم حتي بعد الوضوء بالورق الأبيض ، وفي مكاتبات لاهية .. أو إستخدام الورق الفولسكاب = الورق الكبير ، في مكاتبات قصيرة للغاية . إن كل ذلك شكل من أشكال الإسراف المبالغ فيه ، بل يمكن القول أنه يدخل ضمن الإسراف المحرم ..

إننا نري أنه يمكن ترشيد استخدام الورق علي النحو التالي :

– البعد عن إستخدام الورق الفاخر في العمليات الأُحادية ، والتي يستخدم فيها الورق لمرة واحدة ..

– إستخدام الكتب الدراسية لعدة سنوات متتالية .. وعدم التسرع في تغيير المناهج التي يترتب عليها طبعات جديدة للكتب الدراسية ..

– إستخدام التقنية الحديثة في الطباعة ، والتي يترتب عليها تصغير الحجم والإبعاد للحد من إستخدام خامة الورق .

– إن إخراج الكتاب الدراسي بشكل مقبول ، لا يعني الإسراف في إستخدام

الورق . . وترك أجزاء كبيرة من الصفحات بيضاء . . وإستخدام الورق الفاخر في التجليد . .

– يجب أن تتعاون شتي الهيئات ، والوزارات ، والمؤسسات الصحفية في إعادة إستخدام الورق المرتجع . . وأن تجمع أوراق إجابة الطلاب فى الشهادات العامة ، والإمتحانات الجامعية ، وأن تُعاد بعد سنوات محددة لمصانع الورق ، لإعادة تنظيفها ، وتصنيعها من جديد . .

– أن تتعود ربات البيوت علي وضع المخلفات الورقية في أكياس خاصة ، وأن تُجمع مستقلة من البيوت ، وتُعاد إلي المصانع لإعادة تصنيعها ، وتطويع إستخدامها في أشكال أخري . .

* * *